

## الحرب فى أوروبا

”أعطى حلفاء لأحارب ضدهم!“

(نابليون)

”هناك شئ واحد فقط أسوأ من القتال مع الحلفاء، وهو القتال  
بدونهم“

(سيروينستون تشرشل)

إن التحالف الكبير أثناء الحرب العالمية الثانية، الذى أطلق عليه أحياناً «الحلف الغربى» ضم بريطانيا، أعظم قوة استعمارية فى العالم، بقيادة تشرشل؛ وروسيا الدولة الشيوعية الوحيدة فى العالم، بقيادة ستالين؛ والولايات المتحدة، أعظم قوة رأسمالية فى العالم، بقيادة روزفلت. إن هتلر وحده هو الذى استطاع أن يجمعهم معاً، وخطر ألمانيا النازية وحده، هو الذى استطاع أن يقيهم معاً خلال أربع سنوات من الحرب؛ فكل دولة من هذه القوى العظمى الثلاثة كانت ترتاب فى نوايا الأخرى، لكن كل منهم كان يعرف مدى احتياجه لشريكه الآخرين فلم تمتلك بريطانيا وأمريكا معاً أو أى اتحاد ثنائى آخر بين دولتين القوة اللازمة لهزيمة ألمانيا، وبالتالي كان لابد من اتحاد الثلاثة معاً لإنجاز المهمة.

وهكذا نجح الحلف - العظيم بالرغم من عديد من الضغوط والتوترات - فى التماسك حتى النهاية، وهو ما يمثل إنجازاً ليس له نظير فى التاريخ. ومع ذلك، فقد توترت الأعصاب وأنهكت الموارد - مع مرور الوقت - حتى أوشكت أن تنهار.

بدأت العملية فى يناير ١٩٤٢، عندما توجه تشرشل وقادته العسكريون إلى واشنطن لمناقشة الاستراتيجية المزمع اتباعها، وعرض تشرشل وجهة نظر البريطانيين، ونصح بالقيام بسلسلة من العمليات العسكرية، حول حافة قلعة هتلر فى أوروبا، مع القيام بغارات لإلقاء القنابل على ألمانيا نفسها، وتشجيع قوات المقاومة فى البلاد المحتلة، ولكن دون القيام بغزو مباشر لأوروبا. لقد كان تشرشل يفضل أن يتولى الأوروبيون معاركهم الخاصة، مثلما فعل عظماء السياسيين البريطانيين فى الماضى؛ وكان ذلك علامة على مدى عمق كراهية وخوف تشرشل - وهو من أكبر المعادين للبلشفية - من هتلر. إن الأوروبيين الذين كانوا على استعداد لمقاتلة هتلر سواء كانوا من الروس، أم من المقاومة الفرنسية، أم يوجوسلافيين، أم يونانيين، كان أغلبهم من اليساريين سياسياً، فكانوا اشتراكيين وفى أغلب الأحيان شيوعيين. وكانت سياسة تشرشل تقدم دفعة قوية لقوات اليسار فى أوروبا، ولكن ذلك كان أفضل من انتصار النازيين.

لقد عارض القادة العسكريون فى أمريكا سياسة تشرشل ولكن هذه المعارضة لم تكن لأسباب سياسية؛ فقد كان رئيس أركان الجيش الأمريكى «جورج سى. مارشال» يرى أن الفكرة التى قدمها تشرشل فيها مجازفة وأنها ليست آمنة، وأنها ستؤدى إلى فقدان الأرواح والمعدات، بدلاً من إنقاذها. إن ترك الجيش السوفيتى الأحمر فى مواجهة معظم القوات النازية - كما نادى بذلك تشرشل - كان سيفضى إلى كارثة؛ فلم يكن «مارشال» متيقناً بالمرة أن الروس يمكن أن ينجحوا فى الصمود أمام قوات هتلر دون مساعدة، كما أنه رأى أن ترك جيش سوفيتى مكون من ثمانية ملايين مقاتل يواجه الهزيمة، دون بذل أى مجهود لمنع تلك الهزيمة، يعد أفذح خطأ عسكري فى التاريخ.

وكان «مارشال» يرى أن تعتمد الحلفاء تجنب مواجهة الألمان فى أوروبا طوال عامى ١٩٤٢ و ١٩٤٣ قد يُنقذ الأرواح البريطانية والأمريكية فى المدى القصير، ولكن يمكن أن يؤدى إلى انتصار هتلر التام فى النهاية. وحتى لو كان تشرشل محقاً أيضاً

في افتراضه بأن الجيش الأحمر سوف يصمد، فقد كان «مارشال» يؤمن بأنه سيترب على ذلك استمرار الحرب حتى ١٩٤٤ أو حتى ١٩٤٥، وستكون المحصلة النهائية ارتفاع (وليس انخفاض) نسبة الإصابات بين الأنجلوأمريكيين.

ولذلك اقترح «مارشال» أن يُحدد الأنجلو أمريكيون هدفاً لعام ١٩٤٢، وهو حشد قوات أمريكية برية وجوية وبحرية في المملكة المتحدة؛ بهدف شن غزو ضخم عبر بحر المانش في ربيع ١٩٤٣، وأكد «مارشال» أن اقتراحه هذا هو الوسيلة الوحيدة، التي تمكن الأمريكيين من استخدام قواتهم لحسم المعركة، وتمكن الحلفاء - في نفس الوقت - من تقديم مساعدة كبيرة للروس، وهكذا يتم تحقيق الهدف النهائي وهو النصر.

واجه برنامج «مارشال» الذي يتضمن حشد القوات الأمريكية في ١٩٤٢، والقيام بعملية الغزو في ١٩٤٣، مشكلتين: الأولى هي أنه لن يفيد الروس كثيراً في ١٩٤٢، والثانية أن الولايات المتحدة لن تشتبك في أى قتال أرضى مع الألمان طوال ١٩٤٢؛ وهي النقطة التي أثارت قلق روزفلت لرغبته في أن يشعر الشعب الأمريكي بالتزامه في المعركة من أجل أوروبا (فلقد أظهرت استطلاعات الرأي العام في ١٩٤٢ أن الشعب الأمريكي كان أكثر تحمساً للرد على اليابانيين، من القتال مع الألمان) ولذا فقد رأى روزفلت أن الاشتباك في المعارك الدائرة في أوروبا، هو أسرع طريقة لتحقيق هدفه، وأصر على ضرورة اشتباك القوات الأمريكية في القتال ضد القوات الألمانية، في وقت ما خلال ١٩٤٢. ولكن روزفلت كان أيضاً مؤيداً لفكرة تضيق الدائرة حول هتلر، التي طرحها تشرشل بما تنطوي عليه من ترك الروس يتحملون معظم الإصابات؛ هذا بالإضافة الى تصميمه على ضرورة نجاح أول هجوم أمريكي، مما أدى في النهاية إلى رجوح كفة اختيار حافة المنطقة التي يسيطر عليها هتلر كهدف للمعركة، بدلاً من شمال غرب أوروبا.





اقترح «مارشال» - بالإضافة إلى برنامجه للغزو في ١٩٤٣ - عملية إنزال طارئة على الساحل الفرنسي في سبتمبر ١٩٤٢، وحملت العملية الاسم الكودي الشفري «سلدج هامر» أو «المطرقة الثقيلة» وهي عملية انتحارية، هدفها تخفيف الضغط عن الروس، ولا يتم تنفيذها إلا إذا بدا الروس على وشك الإنهيار. وبالرغم من أن مارشال كان لا ينوي استخدام هذه العملية إلا كضرورة أخيرة، إلا أنه أقنع روزفلت بأنها عملية ترضى رغبته في الاشتباك الأمريكي في المعارك في ١٩٤٢. وكانت الصعوبة الواضحة في عملية «سلدج هامر» تتركز في خطورتها؛ لذا قدم تشرشل اقتراحاً مضاداً لغزو شمال أفريقيا (الفرنسي)، وأطلق عليها الاسم الكودي «تورش» أو الشعلة، وهي عملية أكثر أماناً من شن هجوم عبر بحر المانش (القنال الانجليزي) في ١٩٤٢ أو ١٩٤٣؛ خاصة وإنها كانت تمثل هجوماً مفاجئاً على أراضي دولة محايدة. (كانت الحكومة الفرنسية في «فيشي» بقيادة المارشال «هنري بيتان» تحكم شمال أفريقيا، وقد كانت حكومة فاشستية منحازة للنازيين، إلا أنها أعلنت حيادها في الحرب). ولقد اتفقت عملية «تورش» تماماً مع الأهداف السياسية البريطانية، حيث إنها كانت تساعد بريطانيا على إعادة وجودها في البحر المتوسط.

اضطر روزفلت إلى الاختيار بين اقتراحات مارشال أو تشرشل؛ وواجه ضغوطاً هائلة من جميع الجهات تماثل المخاطر التي تواجهها الاقتراحات؛ فحينما قام وزير الخارجية السوفيتي «ف. م. مولوتوف» بزيارة روزفلت في الربيع (ومع أن الرئيس تهرب من تحديد موقع الجبهة الثانية) كان «مولوتوف» - مثل بقية العالم - يرى حتمية أن يكون موقع الجبهة الثانية في سهول شمال غرب أوروبا.

وكان روزفلت على علم بالضغوط التي تواجه الروس، حيث كانوا يواجهون حوالي ٢٠٠ فرقة عسكرية ألمانية، في جبهة ممتدة من لئنجراد حتى القوقاز كانت تتضمن مسافات شاسعة يحتلها الألمان من أحسن الأراضي الزراعية والمناطق الصناعية بها. كما تعرض الروس لخسائر فادحة في الأرواح وصلت إلى ملايين القتلى

ولذلك فقد كان السوفيت في أمس الحاجة إلى مهلة من الوقت، تمكنهم من إعادة بناء مصانعهم وقواتهم. ولهذا كان السوفيت يعتبرون مسألة فتح جبهة ثانية للمعركة ضرورة أساسية، واختباراً حقيقياً لنوايا دول الغرب الديمقراطية، وإذا لم تتحرك هذه الدول في أسرع وقت على نحو يترتب عليه سحب بعض الفرق الألمانية، فقد يستنتج الروس من ذلك أن الحلفاء ميالون إلى فوز هتلر، على الأقل في الشرق.

لم يكن روزفلت أبداً من الحماسة بحيث يعتقد أن انتصار الألمان على الروس سيفيد أحداً بخلاف النازيين، ولكنه كان يواجه مشاكل وضغوطاً أخرى؛ إذ لم تصل أمريكا - في هذا الوقت - إلى حالة التعبئة القصوى؛ فبغض النظر عن خطط «مارشال»، لم يكن جيش الولايات المتحدة قادراً على غزو فرنسا وحده، وحتى مع اشتراك البريطانيين، كانت الولايات المتحدة ستحمل خسائر كبيرة. هذا بينما أصر تشرشل وقادته العسكريون على عدم العودة إلى القارة الأوروبية في ١٩٤٢، إلا بعد أن يصبح الجميع على أهبة الاستعداد، وبالتالي جعلوا بديل شمال أفريقيا يبدو أكثر جاذبية للرئيس الأمريكي، وأبدى تشرشل استعداداً للذهاب بنفسه إلى موسكو لشرح عملية «تورش» لستالين؛ مؤكداً قدرته على إقناع السوفيت أن عملية «تورش» تمثل فعلاً جبهة ثانية. أمام تصلب وعناد البريطانيين، لم يكن أمام روزفلت إلا عملية «تورش»، فاختار القيام بها.

في ٢٨ يولييه، أصدر روزفلت أوامره إلى «مارشال» وكان تعليق الجنرال «دوايت إيزنهاور» قائد القوات الأمريكية في بريطانيا أن ذلك اليوم قد يكون «أسود يوم في التاريخ» إذ إن «إيزنهاور» و «مارشال» كانا على ثقة أن بدء عملية غزو كرى في شمال أفريقيا الفرنسي في نوفمبر ١٩٤٢ ستترتب عليها تداعيات، قد تؤثر على اتجاه الحرب بأسرها وقد تستمر آثار هذه التداعيات إلى ما بعد انتهاء الحرب.

ونبت أنهما كانا على حق؛ فبمجرد نجاح عملية «تورش» صار من الصعب مقاومة إغراء القيام بتعزيز القاعدة الموجودة - فعلاً - في الجزائر وتونس؛

لاستخدامهما كنقطة انطلاق للعمليات المقبلة. وبذا اتجه الجزء الأعظم من الجهود الأنجلو أمريكية في عامي ١٩٤٢، ١٩٤٣ إلى منطقة البحر المتوسط، بدءاً بشمال أفريقيا، ثم صقلية (يوليه ١٩٤٣) ثم إيطاليا (سبتمبر ١٩٤٣)؛ مما حقق انتصارات كبيرة على الخريطة، إلا أنه لم يترتب عليها تدمير القوة الألمانية.

إن شن غزو في ١٩٤٢، أو حتى ١٩٤٣ كان يستتبع كما من المشاكل الفعلية الهائلة، التي قد يصعب تذليلها. ومن المحتمل جداً أن البريطانيين كانوا على حق في اقتناعهم بأن التسرع في شن هجوم عبر بحر المانش، ستكون نتيجته الحتمية حماساً للدماء. ولكن العوامل السياسية كانت لها اليد العليا وراء قرار عملية «تورش»؛ حيث أراد تشرشل أن يكون الوجود البريطاني قوياً في البحر المتوسط، بينما أراد روزفلت دفع معنويات الشعب الأمريكي عن طريق اشتباك أمريكي سريع ومأمون إلى حد ما. ولقد حققت «عملية تورش» رغبات كل منهما.

عندما بدأت عملية «تورش» في ٨ نوفمبر ١٩٤٢، لم يدرك الأمريكيون ماذا يتوقعون بالضبط، فكانوا يأملون ألا يواجه الغزوة أية مقاومة بسبب ثقتهم في أن الجيش الفرنسي في الجزائر والمغرب وتونس كان في حقيقة الأمر معادياً للألمان. لقد انشغل الجواسيس والعملاء الأمريكيون بالعمل في شمال أفريقيا لمدة عامين، كأعضاء لمكتب الخدمات الاستراتيجية (O. S. S.) وهي المنظمة التي أنشأها «روزفلت» في بداية الحرب، على غرار المخابرات البريطانية.

وعند إنشاء هذه المنظمة، أوضح روزفلت لرئيسها «وليام دونوفان» أن هذه المنظمة يجب أن تواجه الجستابو، وبالتالي يجب أن تستخدم نفس الأساليب التي يتبعها الجستابو، ومن ثم وفر لهذه المنظمة ميزانية مفتوحة وغير محددة، من مخصصات الكونجرس السرية. وبالرغم من ذلك، كان أداء هذه المنظمة بالمقارنة بالمعايير الأوروبية، أداءً هوائياً؛ سواء فيما يتعلق بالطرق التي تتبعها، والتكنولوجيا التي تستخدمها والأيدولوجية، أو السياسات المتبعة. وضمت هذه المنظمة أعضاء مختلفين تماماً،

حيث ضمت عدداً من الرياضيين المحافظين من خريجي أشهر الجامعات على الساحل الشرقي والشمالي لأفريقيا والمفكرين اليهود المتطرفين، وأعضاء من الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة، وكل ألوان الطيف السياسي بين اليمين واليسار وكان الشيء الوحيد المشترك بينهم هو المثالية وكرهية هتلر.

فيما بعد - أثناء الحرب - حققت هذه المنظمة بعض الإنجازات، بالاشتراك مع الجماعات السرية البريطانية والمقاومة الفرنسية المتواجدة خلف خطوط الألمان في أوروبا. ولكن في ١٩٤٢ - في شمال أفريقيا - لم تستطع مخابرات أمريكا أن تفهم تعقيدات السياسة الفرنسية. عندما استسلم «بيتان» للألمان، رفض «الجنرال تشارل ديغول» أن يمثل لحكومة «فيشي» وسافر إلى لندن حيث شجب «بيتان» والتهمة بالخيانة، وأعلن أنه أصبح رئيساً لحكومة فرنسية جديدة ستستمر في الحرب، وأطلق ديغول على منظمته اسم «الفرنسيون الأحرار». ومع ذلك لم يهرع سوى عدد قليل من القوات الفرنسية الموجودة في المستعمرات لمساعدة ديغول؛ حيث اعتقدوا أن الاستمرار في موالاة «بيتان» كان أسهل وأكثر أماناً.

كان الأمريكيون عازفين عن محاربة الفرنسيين، بالرغم من غزوهم شمال أفريقيا؛ وكانوا يفضلون التوصل إلى اتفاقية، ولكن بيتان أصدر أوامره بمقاومة أي غزو، أيأ كان مصدره.

عندما بدأ الغزو، كان الأدميرال «جان دارلان» رئيس أركان القوات المسلحة في «فيشي» موجوداً في الجزائر. ونظراً للأداء السيئ لمنظمة المخابرات الأمريكية كان عملاء «دارلان» على دراية تامة بالخطط الأمريكية، وكان «دارلان» - صاحب قوانين «فيشي» المعادية للسامية - متعصباً ضد البريطانيين وعلى أتم الاستعداد للتعاون مع الألمان؛ إلا أنه كان مستعداً أيضاً لخيانة «بيتان» إذ وافق على اتفاقية تقتضي أن يلقي الفرنسيون بسلاحهم في مقابل موافقة الحلفاء على تعيين «دارلان» حاكماً عاماً لكل منطقة شمال أفريقيا الفرنسية، على أن يتولى جنرال «هنري جيرو» قيادة جيش شمال أفريقيا. وفي خلال عدة أيام.. امثل الضباط الفرنسيون لأوامر «دارلان» بوقف إطلاق النار. وبعد الغزو بأسبوع سافر «إيزنهاور» إلى الجزائر للتصديق على الاتفاقية.

فوجئ «روزفلت»، حيث لم يكن يتوقع أن يضطر إلى دعم التعاون مع «فيشي» لهذه الدرجة، فأمسك عدة أيام عن الموافقة قائلًا للمراسلين الصحفيين إن اتفاقية «إيزنهاور» مع «دارلان» لا تمثل سوى تسوية مؤقتة، ولا يترتب عليها - بأى حال من الأحوال - الاعتراف بدارلان رئيسا لحكومة شمال أفريقيا الفرنسية. إلا أن روزفلت فى نهاية الأمر وافق على اتفاقية «دارلان» لاعتبارات عسكرية.

ولقد ترتب على ذلك تأييد الولايات المتحدة (فى إطار أول تحرك رئيسى لسياستها الخارجية فى الحرب العالمية الثانية) لرجل يمثل، كل ما نادى «روزفلت» و«تشرشل» بالوقوف ضده. فدارلان مثله مثل «جورينج» أو «جوبلز».. كان مناقضاً لكل المبادئ التى كان الحلفاء يدافعون عنها.

أثارت اتفاقية «دارلان» زوينة من المعارضة فى الدوائر الليبرالية فى الولايات المتحدة وفى بريطانيا؛ فتساءل المعلق الإذاعى «إدوارد مورو»: ما الذى نحارب من أجله بحق الجحيم؟ وبوغت أصدقاء «تشرشل»، وكان تشرشل - نفسه - مشدوهاً أيضاً؛ أما ديجول وغيره ممن انتقدوا اتفاقية «دارلان» فقد أثاروا عدة مسائل خطيرة: هل يعنى هذا أن الحلفاء سيعقدون اتفاقية مع «موسوليني»، عندما يدخلون إيطاليا؟ وإذا سنحت لهم الفرصة.. هل سيتفقون مع هتلر أو القادة الألمان؟ وثبت «روزفلت» أمام العاصفة بإصراره على الطبيعة المؤقتة للاتفاقية، فزاد ذلك من سخط «دارلان» الذى تدمر قائلًا: إن الأمريكيين يرونه مثل «ليمونة تعصر للنهاية، ثم تلقى بعيداً عندما لا يرجى منها نفع».

وانتهى النزاع فى عشية عيد الميلاد سنة ١٩٤٢، عندما قام شاب فرنسى باغتيال «دارلان» فى الجزائر، كجزء من مؤامرة واسعة النطاق ضمت أكثر من اثنى عشر فرداً، ولكن لم يتوفر دليل قاطع يحدد من وراء مؤامرة قتل «دارلان».

وبصرف النظر عن المسئول عن هذه المؤامرة.. انتهى حرج التعامل مع «دارلان» على حد قول جنرال «مارك كلارك» نائب إيزنهاور: «إن وفاة الأدميرال «دارلان»

معجزة من السماء فلقد استنفذ أغراضه، فجاءت وفاته حلاً لمشكلة، كان يمكن أن تكون عويصة جداً، ألا وهي كيفية التصرف معه مستقبلاً.

في إطار هذه الأحداث.. تزايدت شكوك الروس بخصوص نوايا السياسة الأمريكية تجاه أوروبا المحررة، فحاول «روزفلت» أن يهدئ من مخاوفهم في مؤتمر «كازابلانكا»، في يناير ١٩٤٣، إذ أعلن أن سياسة الحلفاء تجاه ألمانيا واليابان - وضمناً تجاه إيطاليا - هي المطالبة بالاستسلام غير المشروط.

ما الذي يعنيه ذلك؟ لم يفسر «روزفلت» المقصود بهذا الإعلان تفصيلياً، فالمفترض أن «الاستسلام غير المشروط» يعني أن الحلفاء سيقاثلون حتى تضطر حكومات المحور إلى التسليم أمام الحلفاء، دون أية شروط؛ ولكن فيما عدا ذلك.. لم يكن أى شيء واضحاً؛ إذ لم يذكر «روزفلت» نوعية الحكومات التي ستحل محل حكومات «موسوليني» و «توجو» و «هتلر»؛ فكان من المتوقع أن تكون هناك فترة احتلال عسكري، مع منح السلطة لحاكم عسكري من الحلفاء، ولكن ماذا بعد ذلك؟ إن روزفلت لم يوضح هذه الأمور.

إن عدم إعلان روزفلت للتفاصيل الخاصة بهذه القضية غالباً ما يرجع إلى أنه هو نفسه لم يكن يعرف ما سيفعل، إلا أنه كان على ثقة من قدرته على مواجهة كل موقف في حينه، لأنه كان دائماً يثق في نفسه وكان دائماً عملياً في مواجهة المشاكل واستمر في الاعتماد على الاعتبارات العسكرية كأساس لمعظم قراراته. وفي نفس الوقت، أكد روزفلت لستالين والعالم بأسره أنه لن تعقد أية اتفاقيات مع هتلر وعصابته. وأن الحلفاء سيقاثلون حتى تستسلم حكومات المحور، حينذاك سوف يسوى كل الأمور، ويرضى جميع الأطراف. كانت خطة عبقرية: من خلال إضفاء نوع من الغموض على أهداف الحرب، تجنب روزفلت الانشقاق بين الحلفاء.

كانت ثقة روزفلت في نفسه هائلة، ولكنها لم تكن دائماً لها ما يبررها، وهو ما أثبتته فيما بعد العلاقات الفرنسية الأمريكية. ففي بداية ١٩٤٣ كان «چيرو» لا يزال

قائداً للقوات الفرنسية فى شمال أفريقيا، ولكنه لم يستمر فى ذلك المنصب طويلاً بالرغم من التأييد الأمريكى له؛ فقد توجه ديچول إلى الجزائر، بتشجيع من البريطانيين، ونظم اللجنة الفرنسية للتحرير الوطنى، وانضم إلى «جيرو» كرئيس مشارك. ولقد كان «جيرو» سياسياً ساذجاً، وبالتالى فإنه بالرغم من مجهود «روزفلت» نجح ديچول فى إقصاء «جيرو» كلية عن حكومة شمال أفريقيا الفرنسية. وبنهاية ١٩٤٣، فشلت سياسة روزفلت التى اتبعها مع الفرنسيين فشلاً ذريعاً، وترجع ديچول فى الحكم.

كانت أهم العمليات العسكرية الأنجلو أمريكية فى ١٩٤٣ موجهة ضد إيطاليا؛ إذ بدأ غزو صقلية فى يولييه، متبوعاً بالهجوم على الأراضى الإيطالية فى سبتمبر. ورغم خروج إيطاليا من الحرب، لم يصل الحلفاء إلى روما حتى منتصف ١٩٤٤، ولم يتمكنوا من السيطرة على كل إيطاليا حتى ربيع ١٩٤٥. وقد شنت عمليات عسكرية خطيرة حققت نتائج محدودة لم تتعد نجاح الحلفاء فى شل حركة عشرين فرقة ألمانية فى إيطاليا؛ بالإضافة الى حصولهم على بعض المطارات الإضافية، لاستخدامها فى توجيه قاذفات قتال ضد ألمانيا.

أما المكاسب السياسية، فكانت هائلة؛ إذ تم الاتفاق المسبق على استسلام إيطاليا قبل غزو الحلفاء للأراضى الإيطالية، بشروط حازت قبول كل من بريطانيا والولايات المتحدة والهيئة الحاكمة الموجودة فى إيطاليا آنذاك. ولكن تلك الشروط تجاهلت تماماً مصالح الإيطاليين الاشتراكيين والشيوعيين، وبالطبع مصالح الاتحاد السوفيتى. وبعد أسبوعين من الهجوم على صقلية، قام الحلفاء بقذف روما بالقنابل لأول مرة وترتب على هذه الغارة مع تدهور الموقف العسكرى - إطاحة المجلس الفاشستى الأعلى بموسيلينى، الذى حل محله المشير «بيترو بادوجليو». ولم تكن لدى «بادوجليو» وجماعته أية نية لإجراء أية تغيرات داخل إيطاليا الفاشية، إذ اقتصر هدفهم على خيانة الألمان، وكان الأمريكيون والبريطانيون على أهبة الاستعداد لمساعدتهم.

ومرة أخرى تم الاختيار لاعتبارات عسكرية؛ إذ إن عدد القوات الألمانية العسكرية فى إيطاليا فاق عدد القوات المهاجمة بحوالى ثمانى مرات، بينما وصل عدد القوات

الألمانية والإيطالية - معاً - إلى حوالي عشرين ضعفاً\*. ولذا شعر إيزنهاور أن الحد الأدنى الذى يجب أن يتوفر له هو حياد الجيش الإيطالى، وللوصول إلى ذلك الهدف، كان روزفلت على استعداد لتقديم تنازلات جمة.

كان الإيطاليون محددين تماماً بخصوص التنازلات التى طالبوا بها وهى: حماية الحكومة فى روما من الألمان، والسماح لهم بإعلان الحرب على ألمانيا، والانضمام إلى الحلفاء كدولة محاربة؛ حتى يمكنهم تجنب ذل التوقيع على معاهدة استسلام غير مشروط. وكان «إيزنهاور» على استعداد للموافقة على تلك الطلبات، وحث رؤسائه فى واشنطن ولندن على ذلك، إلا أن ذلك كان يعنى تنازلات هائلة بالنسبة لـ «تشرشل»، الذى كانت حكومته مشتبكة فى قتال إيطاليا منذ يونيه ١٩٤٠، وكذلك بالنسبة «لروزفلت» بعد إعلان «كازيلانكا» عن الاستسلام غير المشروط، والذى كان يعنى عدم الدخول فى أية اتفاقيات أخرى مع الفاشستيين ممثلين فى «بادوجليو» وجماعته. ولذلك عمد رؤساء الحكومات إلى تأخير اتخاذ قرار، وتوقفت المحادثات عن التقدم، ومضى أغسطس ١٩٤٣ دون إحراز شئ يذكر.

وبالتدريج.. سمح «تشرشل» و «روزفلت» لإيزنهاور بالإذعان للمطالب الإيطالية الرئيسية، فلقد أرادا تحقيق الاستقرار فى إيطاليا، وضمان حياد الجيش الإيطالى، وبالتالي، كانا على استعداد للاتفاق مع «بادوجليو» لتجنب حدوث هياج جماعى، وربما فوضى واضطرابات. وفى النهاية سمحا للحكومة الإيطالية أن تستسلم بشروط، وأن تظل فى الحكم، وأن تحتفظ بإدارة إيطاليا، مع الإبقاء على الملكية الإيطالية، والانضمام إلى الحلفاء كدولة محاربة.

ونتيجة لذلك، ظلت نفس الجماعات السياسية - التى كانت تحكم إيطاليا من قبل وخلال الحرب - فى الحكم فى عام ١٩٤٥، بتأييد من مجلس الحلفاء الذى

\* سبب المعجز فى قوات إيزنهاور، هو البدء فى تعزيز القوات فى إنجلترا، استعداداً لشن الهجوم عبر القناة (الساحل الفرنسى) فى ١٩٤٤، فكلما أتمت الفرق الأمريكية الجديدة تدريبها، كانت ترسل عبر البحار إلى إنجلترا، بدلاً من شمال أفريقيا.

استبعد منه الروس. وفي البداية اعترض «ستالين» ولكنه لم يلح، إذ إنه أدرك أهمية هذه السابقة: أن كل من يحرر بلداً من الحكم النازي له حق تقرير ما يجرى بها، لقد كان مستعداً لأبعد الحدود للسماح للحلفاء بتحديد مستقبل إيطاليا مقابل حصوله على نفس الحق في أوروبا الشرقية.

لقد كانت السياسة الخارجية الأمريكية في الحرب العالمية الثانية معقدة جداً ومتنوعة، وبالتالي يصعب إطلاق تعميمات بخصوصها فبدلاً من تبني سياسة محددة، كانت الضرورات العسكرية هي التي تملئ القرارات السياسية التي تتخذها الولايات المتحدة؛ فعلى سبيل المثال.. أمدت أمريكا المقاومة الفرنسية بالسلاح والمعدات، رغم اتجاهاتها اليسارية وكذلك ساعدت «تيتو» في يوغوسلافيا، بالرغم من أنه كان يقود ثورة شيوعية. وفي نفس الوقت حاولت تأسيس حكومة يمينية في شمال أفريقيا الفرنسي وإيطاليا، كما سمحت للبريطانيين أن يحدوا حذوها في اليونان. وفي فرنسا المحتلة كان يتعين على الولايات المتحدة أن تتعامل مع المقاومة التي حملت وحدها عبء مقاتلة النازيين، أما في يوغوسلافيا.. كان هناك بديل لتيتو، في شكل قوة فدائية بقيادة الجنرال «دراجا ميخائيلوفيتش»، الذي كان يؤيد الملكية والحكومة اليوغوسلافية في المنفى في لندن. لقد حذا إيزنهاور والأمريكيون حذو البريطانيين في مدِّ يد المساعدة لتيتو؛ لأنه كان أكثر صلاحية من «ميخائيلوفيتش» لمحاربة النازيين. ولا يمكن القول بأن أمريكا استقطبت كل قواها من أجل هزيمة النازيين؛ إذ إن كل ضابط أمريكي مسئول - تقريباً - حذر الرئيس من تأثير غزو شمال أفريقيا في ١٩٤٢، على تأخير النصر النهائي.

وفي هذا الصدد - وبدرجة أقل في حالة غزو صقلية وإيطاليا - كانت الضغوط السياسية الداخلية واتجاهات «تشرشل» أقوى تأثيراً على قرارات «روزفلت» من رغبته في التعجيل بهزيمة ألمانيا.

في يناير ١٩٤٤ وضعت الولايات المتحدة حداً للاضطرابات والانجرافات، التي كانت من سمات سياستها الخارجية، وذلك عندما أصبحت القوات الأمريكية في

حالة الاستعداد القصوى، وتولى إيزنهاور قيادة قوات الحلفاء (AEF) في المملكة المتحدة، وبدأ استعداداته لشن الهجوم عبر القناة، وهي العملية التي أطلق عليها «OVERLOED - أوفرلورد». ومنذ ذلك التاريخ، استحوذ سؤال واحد على الفكر الأمريكي، وهو: هل لهذا الاقتراح آثار إيجابية أم سلبية على عملية «أوفرلورد»؟ لقد حازت عملية «أوفرلورد» على الأولوية المطلقة بحيث تم تعديل كل العمليات المساعدة لتكون في خدمتها، وتركزت الجهود الأمريكية - وقتها - على هدف واحد فقط هو هزيمة ألمانيا. أما مشاكل بعد الحرب فقد تم إرجاؤها لمعالجتها بعد انتهاء الحرب. وبصفة عامة استمر ذلك الاتجاه حتى آخر يوم في الحرب.

وثبت صواب ذلك القرار، إذ إن عملية «أوفرلورد» كانت أهم وأخطر عملية عسكرية هجومية قادتها الولايات المتحدة وبريطانيا في الحرب، كما أنها كانت أبرز عمل سياسي، حيث كانت تعبيراً عن الهدف الدائم والأساسي للسياسة الخارجية الأمريكية، ألا وهو المحافظة على توازن القوى.

تتعدد الأمثلة التي تدل على تطور الزعامة الأمريكية من خلال التركيز على هدف واحد؛ حيث ركزت - أساساً - على بريطانيا، مع عدم الاهتمام بروسيا. ويرجع ذلك من ناحية إلى ارتباط الأمريكيين بعلاقات عمل وطيدة مع البريطانيين، بينما لم يكن لهم أي اتصال بالجيش الأحمر. ومن ناحية أخرى، بسبب اهتمام البريطانيين بالمسائل طويلة الأجل، أكثر من الأمريكيين. وقد حازت ثلاثة موضوعات على أهمية خاصة، وهي: ما الذي يمكن عمله في منطقة البحر الأبيض المتوسط، وما التشكيل الذي يجب اتباعه في دخول ألمانيا؟، وهل برلين هي الهدف أم الجيش الألماني؟ وفي القضايا الثلاث تمسك الأمريكيون بوجهة نظرهم؛ فلقد وصل التفوق الأمريكي في معسكر الحلفاء إلى الحد الذي مكن الأمريكيين من فرض رأيهم، كلما لزم الأمر؛ بينما اضطر البريطانيون إلى قبول القرارات الأمريكية بأكبر قدر ممكن من الكياسة، بسبب انخفاض مشاركتهم إلى ٢٥٪ من إجمالي الموارد الأمريكية البريطانية.

لقد كانت سيطرة أمريكا على الحلفاء بداية عصر جديد فى تاريخ العالم؛ إذ إنها أصبحت القوة المسيطرة على العالم بدلاً من بريطانيا العظمى. وبحلول ١٩٤٥، حقق الإنتاج الأمريكى مستويات كان يصعب تصديقها؛ إذ وصل إنتاج الولايات المتحدة إلى ٤٥٪ من أسلحة العالم، وحوالى ٥٠٪ من سلع العالم، كما أن ثلثى إجمالى السفن العائمة فى العالم، كانت أمريكية الصنع.

وفيما يتعلق بمنطقة البحر الأبيض المتوسط، أصر الأمريكيون على إبطاء العمليات فى إيطاليا، لاستخدام القوات لغزو جنوب فرنسا من أجل توفير قوة تؤمن الجانب الأيمن لجيش إيزنهاور. واعترض البريطانيون على ذلك، مفضلين عمليات فى النمسا ويوغوسلافيا، ولكنهم لم يجرؤوا على الإفصاح عن دوافعهم السياسية؛ حيث أدركوا أن «روزفلت» سوف يتجاهل الأبعاد السياسية. ولقد أوضح روزفلت لـ «تشرشل»: «صديقى العزيز: إننى أتوسل إليك أن تدعنا ننفذ خططنا لأسباب سياسية بحتة هنا فى أمريكا، لن يمكننى بأى حال من الأحوال مواجهة أى هزيمة ولو محدودة فى «أوفرلورد»، إذا عرف أنه تم تحويل قوات كبيرة نسبياً إلى البلقان». (إذ إن عام ١٩٤٤ كان عام الانتخابات الأمريكية حيث كان «روزفلت» مرشحاً لفترة رئاسة رابعة).

كان «تشرشل» يأمل فى تأمين وضع بريطانيا فى البحر الأبيض المتوسط بالاستيلاء على كل إيطاليا والساحل الأدرياتيكي، ثم أعلن - فيما بعد - عن اهتمامه بسبق الروس فى وسط أوروبا، ولكنه لم يفصح عن نواياه فى ذاك الوقت. على العكس من ذلك، أخذ «تشرشل» يكرر لإيزنهاور - الذى كان يتحمل وطأة المناقشات عن الجانب الأمريكى - أن الدافع وراء رغبته فى شن هجوم شامل على الساحل الأدرياتيكي، دافع عسكري بحت، ولكن «إيزنهاور» كان مقتنعاً بأن وضع بريطانيا بعد انتهاء الحرب كان يشغل تفكير «تشرشل»؛ ولذا أخبر رئيس الوزراء بضرورة التحدث مع «روزفلت»، إذا كان يرغب فى تغيير التعليمات الصادرة إليه (بتوجيه عمل هجومى إلى قلب ألمانيا). إن إصرار إيزنهاور على شن الهجوم على جنوب فرنسا كان مبنياً على أسس عسكرية بحتة.

عندما فشل تشرشل فى إقناع «روزفلت» بالتدخل، تم الهجوم فى أغسطس ١٩٤٤ وانتهت فرص الحلفاء فى نشر عملياتهم داخل شمال أوروبا أو البلقان. وكانت أمريكا على استعداد للتوغل شرقاً، فى منطقة البحر الأبيض المتوسط حتى إيطاليا فحسب إذ لم يبد احتمال توسع الاتحاد السوفيتى - بعد الحرب - داخل أوروبا الشرقية أو البلقان لأمريكا من الأهمية بحيث يستحق تحويل الانتباه عن ألمانيا.

أما القضية المهمة الثانية، التى أثارت جدلاً فى سبتمبر ١٩٤٤، فتعلقت بطبيعة التوغل داخل ألمانيا. قام إيزنهاور بتوجيه الهجوم على جبهة مستعرضة، حيث تحركت الجيوش الأمريكية والبريطانية - جنباً إلى جنب - تجاه ألمانيا، ولكن الجنرال «برنارد مونتجمرى» قائد القوات البريطانية طالب - لاعتبارات عسكرية - بتحريك بريطاني منفرد نحو ألمانيا، وأصر أن خطته ستؤدى إلى وضع نهاية سريعة للحرب. وأيد «تشرشل» «مونتجمرى» لرغبته فى فوز البريطانيين بمجد الاستيلاء على برلين، وحتى تتمكن القوات البريطانية الأمريكية من التوغل إلى أبعد نقطة ممكنة فى أوروبا الشرقية، حين تقابل مع الجيش الأحمر.

إلا أن إيزنهاور أصر على تنفيذ خطته إذ كان على قناعة تامة بأن الجبهة المستعرضة خطة عسكرية سليمة. إن تحديد مدى خطأه أو صوابه يتوقف على الأولويات المطلوبة. فإذا كان الهدف الرئيسى هو التأكد من هزيمة الألمان، كان الأصوب اتباع طريقة «إيزنهاور» الحذرة، لكن إذا كان الهدف هو إحباط خطة الروس، التى تهدف إلى تقدمهم داخل وسط أوروبا عن طريق تحرير الحلفاء لبرلين وبلجراد وفيينا، لكان من الأصوب تنفيذ البرنامج الجرى الذى رسمه «مونتجمرى».

لقد انعكست الأدوار، ففي ١٩٤٢ كان «إيزنهاور» و «مارشال» على استعداد لقبول أية مخاطرة فى سبيل عبور القناة، إلا أنهما فى ١٩٤٤ دافعا عن خطة يعوزها الدهاء، نظرا لعدم خطورتها. أما البريطانيون الذين ترددوا - من قبل - فى مواجهة هتلر داخل القارة، فقد أصبحوا على أتم الاستعداد للتعرض لمخاطر جسيمة لوضع نهاية للحرب والفوز باحتلال برلين.

لقد اتضح الاختلاف في نظرة وطريقة كل من الجانبين، أو تقدير كل منهما لمدى إلحاحية الموضوع في ديسمبر ١٩٤٤، في رد فعل كل منهما تجاه الهجوم الألماني المضاد على Ardennes «الأردن». فقد كانت جيوش إيزنهاور متورطة تماماً نتيجة تقدمها على جبهة مستعرضة وبذا عانت من قصور فظيع في القوات الاحتياطية، ولذلك أرسل «إيزنهاور» إلى لندن وواشنطن، يناشدهما إرسال قوات إضافية، وحيث إن «تشرشل» كان متلهفاً على إنهاء الحرب، فقد سارع بإصدار أوامره باستدعاء جديد للمدنيين، وهو الأمر الذي كان له أثر بالغ على ما تبقى من القوة الصناعية في بريطانيا، إلا أنه زود إيزنهاور بقوة جديدة قوامها ٢٥٠,٠٠٠ رجل. أما في الولايات المتحدة، فقد تمسكت وزارة الحرية الأمريكية بوجهة نظر «روزفلت»، التي كانت تنادي بأن الإنتاج الصناعي هو أعظم مشاركة في الحرب يمكن أن تقدمها الولايات المتحدة؛ ولذلك رفضت أمريكا استدعاء أية قوات إضافية. لقد أثار هذا الموقف غضب «والتر سميث» رئيس أركان إيزنهاور، الذي عبر عن غيظه في أحد الاجتماعات، قائلاً في معرض مقارنة موقف لندن وواشنطن: «بينما كنت اتقلب في فراشي مساء أمس، راودتني فكرة: ألا يجب علينا أن نكتب إلى أسيادنا في واشنطن، لنوضح لهم أنه لكي نتصر في هذه الحرب.. يجب عليهم أن يزودونا بعشر فرق أخرى؛ فلننظر إلى بريطانيا التي أوشكت على توفير ٢٥٠,٠٠٠ جندي، إذا كان ذلك في مقدور بريطانيا.. لكان يتعين علينا توفير ٢٥٠,٠٠٠ جندي».

واستطاعت قوات الحلفاء التغلب على أزمة معركة البولج «Bulge» دون الإمدادات الأمريكية، وعبروا نهر الراين في أوائل ربيع ١٩٤٥، متوغلين على امتداد جبهة مستعرضة داخل ألمانيا؛ فأمر إيزنهاور بتطويق المنطقة الصناعية في «الرور»، وإرسال حملة إلى «داسون» للالتحام مع الجيش الأحمر في وسط ألمانيا - باعتبارها أهدافاً عاجلة - حتى يمكن تقسيم ألمانيا إلى جزئين. إلا أن «مونتجمري» و «تشرشل» اعترضاً لأنهما أرادا من إيزنهاور أن يعطى الأولوية لتزويد الحملة البريطانية المتجهة إلى برلين بالمعدات والغطاء الجوي، لكي تتمكن من الوصول إلى برلين قبل الروس.

لقد ثار جدل كبير حول وجهة نظر «تشرشل» في التمسك باتخاذ برلين هدفاً للحرب. لقد أشيع أنه أراد إبعاد الروس عن شرق ألمانيا، والاحتفاظ بألمانيا دون تقسيم، والمحافظة على وضع برلين كعاصمة للبلاد، وأنه لو كانوا الحلفاء نجحوا في الاستيلاء على المدينة لما وجدت مشكلة «برلين» التي نواجهها اليوم. وهذا هراء؛ فالإلى جانب العوامل العسكرية (لم يكن مستبعداً ألا يتمكن رجال «إيزنهاور» من الاستيلاء على برلين قبل وصول الجيش الأحمر إليها) فإن معظم تلك الآراء لا تعكس السياسة التي كان «تشرشل» يدافع عنها؛ حيث لم يذهب أبداً إلى رفض حق الروس في التواجد في أوروبا الشرقية بصفة عامة، أو شرق ألمانيا بصفة خاصة؛ لأنه وضع قد سبق الاتفاق عليه منذ البداية. فبمجرد شن الهجوم عبر بحر المانش في ١٩٤٣، لم تعد هناك أية فرصة لاستبعاد الروس من أوروبا الشرقية، وكان «تشرشل» مدركاً لهذه الحقيقة؛ لأن اتفاقه الشهير مع «ستالين» خلال اجتماعات موسكو في خريف ١٩٤٤، دل على اعترافه بأنه لا مفر من سيطرة الروس على أوروبا الشرقية.

إن الدافع وراء سعي تشرشل إلى الاستيلاء على برلين لم يكن طنائاً بهذه الدرجة، إذ إن اهتمامه الأعظم كان المحافظة على الهيبة والمركز. وعندما أفاد «روزفلت» بخبر اتجاه الروس إلى تحرير فيينا، قال له: «إذا استولوا على برلين أيضاً، ألن ينطبع في أذهانهم - دون وجه حق - أنهم تحملوا الدور الأعظم في انتصارنا المشترك؟».

لكن «روزفلت» لم يقتنع بذلك على الإطلاق، ففي الأسابيع التي سبقت وفاته في ١٢ إبريل، انحصرت اهتماماته في تكوين الأمم المتحدة (بدأت جلسات مؤتمر سان فرانسيسكو لصياغة ميثاق الأمم المتحدة بعد وفاته بفترة قصيرة) للتأكد من اشتراك الاتحاد السوفيتي في الأمم المتحدة، وللمحافظة على العلاقات الودية مع «ستالين». لذلك رفض «روزفلت» أن يتخذ موقفاً صلباً مع «ستالين» بخصوص احتلال الروس لبولندا، أو بشأن شكوك «ستالين» حول استسلام القوات الألمانية في إيطاليا للحلفاء من الغرب. ولم يكن الرئيس دبلوماسياً محنكاً، كما لم يضع أبداً

صورة واضحة عن أهدافه تجاه عالم ما بعد الحرب، ودل اهتمامه بالأمن المتحدة على أنه اعتنق مبدأ «ودرو ويلسون» بخصوص الأمن الجماعي. ولكن طبيعة الأمم المتحدة التي سعى إليها «روزفلت» - التي كانت تحكمها الدول الكبرى من خلال مجلس الأمن - كانت تدل على أنه لم يتنازل عن إيمانه بضرورة وجود مناطق نفوذ للقوى العظمى، ودلت على ذلك تعليقاته المتكررة عن «رجال البوليس الأربعة» (الصين، وروسيا، وبريطانيا، والولايات المتحدة).

إذا كانت سياسة «روزفلت» قد اتسمت بعدم الوضوح، لدرجة إرباك حتى أقرب مستشاريه، إلا أن شيئاً واحداً كان واضحاً، وهو رفض الرئيس معاداة السوفييت بصورة صارخة؛ مما أثار سخط بعض أعضاء وزارة الخارجية، خاصة «أفريل هاريمان» السفير الأمريكي لدى روسيا. فلقد افترض «هاريمان»، و«تشرشل»، و«ترومان» فيما بعد أن روسيا ستكون غير منطقية في مطالبها، وستكون متعطشة للنفوذ؛ بحيث يستحيل التعامل معها إلا من منطلق قوة ساحقة تتسم بالحزم والصرامة. ولكن «روزفلت» نبذ كل هذه الافتراضات، بل الأكثر من ذلك أنه رأى أنه من المنطقي أن يشعر الروس بالقلق تجاه نوع الحكومات الموجودة على الحدود الغربية لروسيا؛ مما دفعه إلى قبول مناقشة مطالب «ستالين» في شرق أوروبا. هذا بالإضافة إلى افتراض آخر - وافق عليه «تشرشل» نفسه - يتعلق بملحوظة «ستالين» في أوائل ١٩٤٥ بخصوص «كل من يحتل منطقة يحق له أن يفرض عليها نظامه الاجتماعي الخاص»، وهي ملحوظة «تشرشل» في محلها. إلا أن «تشرشل» - الذي كان أول من وضع أساس هذا المبدأ في «اتفاقية يalta» - ما لبث أن شجب ستالين لتطبيق نفس المبدأ في شرق أوروبا. وقد تلك الواقعة أن «روزفلت» كان واقعياً لدرجة جعلته يقبل مبدأ المعاملة بالمثل.

لقد أثارت طبيعة التحالف مع روسيا درجة كبيرة من الحيرة، ففي أعقاب الغزو النازي أصبح الجيش الأحمر بطلاً، وظهر «ستالين» في الصحافة الأمريكية كبطل حكيم وكريم. ومع ذلك، فمن المشكوك فيه أن يكون لذلك الموقف تأثير عميق أو دائم على شعب نظر إلى الشيوعية والفاشية بنفس القدر من الخوف وعدم الثقة.

وفى ذات الوقت، ظل الإحساس بعداء السوفييت متدفقاً خلف الكواليس، خاصة فى وزارة الخارجية. ولكن «جورج كينان»، (رغم أن وظيفته بوزارة الخارجية كانت ثانوية فى ذلك الوقت) أحسن التعبير عن الاتجاه السائد بعد غزو النازيين لروسيا فى ١٩٤١، عندما قال: «يجب ألا نفعل أى شئ، يجعلنا نظهر كأننا نحذو حذو «تشرشل» فى تأييده المعنوى لقضية روسيا. يبدو لى أن الترحيب بزمالة روسيا فى الدفاع عن الديمقراطية، سيؤدى إلى إساءة فهمنا». كان «كينان» يشعر أن «تخوف أوروبا بصفة عامة من روسيا فاق تخوفها من ألمانيا» ووافق ضمناً على رأى القائل بأن هناك تشابهاً بين أخطار الشيوعية وأخطار الفاشية.

من المحتمل أن رأى الذى عبر عنه «كينان»، فى ١٩٤١ كان سائداً فى وزارة الخارجية، إلا أن الوزارة لم تكن الموجه الرئيسى للسياسة الخارجية الأمريكية، ولذا مضى «روزفلت» فى إمداد الروس على سبيل «الإقراض والإيجار»، وتأييد «ستالين» معنوياً، ولكنه تحت إلحاح وزارة الخارجية، رفض طلب «ستالين» فى ١٩٤١ عقد اتفاقية تعترف بالأقاليم التى فاز بها الروس فى ظل المعاهدة الدولية بين السوفييت والنازيين، بدعوى أنه يمكن تسوية المسائل الإقليمية بعد انتهاء الحرب. ولكن - فيما عدا تلك المسألة - عمل «روزفلت» على التعاون مع «ستالين» ضد العدو المشترك، واستمر «كينان» فى اعتراضه. وعندما نجح الجيش الأحمر فى دفع الألمان خارج روسيا فى ١٩٤٤، وبدأ الإعداد للهجوم النهائى، انبرى كينان منادياً: إن الوقت قد حان «لمواجهة سياسية واقعية ناضجة مع القادة السوفييت؛ إذ أراد مواجهتهم وذلك «بتخييرهم بين تغيير سياستهم تماماً والموافقة على التعاون على إنشاء دول مستقلة حقاً فى أوروبا الشرقية، وبين فقدان تأييد ورعاية دول الغرب الحليفة، خلال المراحل المتبقية من العمليات الحربية».

كان «كينان» قد أصبح - فى ذلك الوقت - المستشار الأول لـ «هاريمان»، السفير الأمريكى لدى موسكو، الذى وافق على آراء «كينان» ونصح «روزفلت» بتخفيض أو حتى إيقاف الشحنات المرسلة إلى روسيا على سبيل «الإقراض - والإيجار»، ولكن

«روزفلت» رفض، واستمر تدفق المساعدات لتزويد روسيا بالمعدات اللازمة خاصة الشاحنات، حيث اعتقد أن حاجة الغرب إلى الجيش الأحمر كانت تماثل حاجة روسيا إلى إمدادات «الإقراض - والإيجار». ورغم أن «كينان» عجز عن فهم ذلك، إلا أن «مارشال» و «روزفلت» كانا متأكدين تماماً من إجابة سؤال: «من كان في حاجة قصوى إلى من؟» ولقد كانت أقصى مخاوفهما تمثل أقصى آمال «كينان»، ألا وهي توقف الجيش الأحمر بمجرد وصوله إلى الحدود الروسية. وعندئذ، كان يمكن للألمان أن يتجهوا غرباً لمواجهة الحلفاء - في الغرب - بمعظم الجيش الألماني. ولم تكن بريطانيا وأمريكا قد توصلتا بعد إلى تدبير وتموين قوات تكفي لسحق مثل تلك المقاومة حتى الوصول إلى برلين.

فضلاً عن ذلك، فإن احتمال وجود أسلحة سرية جديدة، أثار قلقاً كبيراً في ذاك الوقت. لقد تقدمت ألمانيا في التكنولوجيا العسكرية بخطى سريعة أثناء الحرب، ودأبت الدعاية الألمانية على حث الشعب على استمرار المقاومة لفترة قصيرة، حتى يتم تجهيز الأسلحة الجديدة. وكان «روزفلت» قد علم أن الألمان منكبون على إنتاج قنبلة ذرية، بالإضافة إلى أسلحة «V»\* وطائرات نفاثة، وغواصات مزودة بمعدات التنفس تحت الماء. لذلك، فإن إيقاف تسهيل الإقراض والإيجار إلى الروس كان سيترتب عليه إبطاء تقدم الجيش الأحمر، مما يوفر للألمان مهلة من الوقت لتحسين أسلحتهم وبلوغها حد الكمال، هذا إن لم يؤدي إلى انسحاب «ستالين» من الحرب كلية.

إن الاعتبارات سابقة الذكر ليست إلا تجسيداً للمعضلة الأساسية للحرب، فحتى النهاية أجمعت جميع القوى على الضرورة الحتمية لاستمرار تقدم روسيا، ومع ذلك رفضوا - فيما عدا قلة قليلة من البريطانيين الأمريكيين - سيطرة روسيا على شرق أوروبا؛ وكان لابد من الاختيار بين هذا أو ذاك. وقرر «روزفلت» أن الخطر

\* يرمز حرف في «V» إلى كلمة انتقام (Vengeance)، وكان ذلك أول شكل للصواريخ أو القذائف الموجهة.

الأعظم يتمثل في توقفت الهجمات الروسية فاستمر في مساعدة «ستالين» وتشجيعه على الحملة الروسية تجاه الغرب.

أما «إيزنهاور»، فقد بنى قراره بالنسبة لبرلين (في حدود سلطته) على أسس عسكرية، وكان رأيُه أنه من الجنون إرسال قواته مهرولة إلى برلين، بينما يقل (أو ينعدم) احتمال وصولهم إليها قبل الجيش الأحمر. وفضلاً عن ذلك، فقد كان «إيزنهاور» بحاجة إلى خط واضح للعالم الحدود سهل التعرف عليه من الجانبين، عندما تتلاقى قواته مع القوات الروسية، وذلك بهدف تجنب تبادل إطلاق النار بين قوات الحلفاء بطريق الخطأ. ولذلك، أبلغ «ستالين» بتوقف قواته عندما تصل إلى نهر إلبا، ولكن «تشرشل» ظل يلح عليه لكي يستمر في التقدم شرقاً. وفي النهاية.. أقر «إيزنهاور» إلى رؤساء أركان العمليات المشتركة، بما نصه. «أنا أول من يقر أن الحروب تنشب من أجل تحقيق أهداف سياسية؛ لذلك إذا قرر رؤساء أركان العمليات المشتركة أن المجهودات التي يبذلها الحلفاء للاستيلاء على برلين، تفوق في أهميتها الاعتبارات العسكرية الصرفة في هذه المعركة.. فإنني - وبكل سرور - سوف أعيد تنظيم خططي وأفكاري، لكي أنفذ مثل هذه العملية؛ أي إنه لم يكن على استعداد لتعرض حياة ١٠٠,٠٠٠ رجل أو أكثر للخطر دون تحقيق مكاسب عسكرية. وعندما لم يصله رد من رؤساء الأركان، تمسك بوضع الاعتبارات العسكرية في المقام الأول.

وبينما قامت قوات إيزنهاور باحتلال جنوب ألمانيا.. واصلت القوات الروسية هجماتها حتى وصلت إلى برلين، بعد تكبد إصابات جسيمة غالباً ما تعدت ١٠٠,٠٠٠ رجل. ولقد أشار «هربرت فيس» إلى ذلك؛ قائلاً إنهم فازوا «بأول إحساس كتيب بالنصر، وأول منظر مربع للأطلال، وأول موكب عسكري تحت حجاب قاتم كثيف من الدخان». ومع ذلك - بعد مرور شهرين - تخلوا عن أكثر من نصف المدينة التي تكبدوا هذا الثمن الفادح للاستيلاء عليها، بينما حازت الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى على قطاعاتهما في برلين، دون دفع حياة جندي واحد ثمناً لها، وظلوا هناك منذ ذاك الحين.

الأهم من ذلك هو أن الحرب انتهت، دون حدوث ثغرة قاطعة في العلاقات مع روسيا. وإن كان «التحالف الغريب» قد تعرض للتوتر مرات عديدة، إلا أن الولايات المتحدة وروسيا ظلتا متحالفتين. وفي مايو ١٩٤٥ ظل احتمال استمرار تعاونهما وارداً، وإن كان ضعيفاً؛ حيث إعتد على موقف الولايات المتحدة من التصرفات السوفيتية في شرق أوروبا. كان واضحاً أن «ستالين» سوف يصر على إقامة ديكتاتورية شيوعية تحت سيطرة موسكو، بما يتضمنه هذا من إقصاء قيادات الاقتصاد والزعماء السياسيين من العهد القديم، مثل: الملاك، وأصحاب المصانع، وكبار المسؤولين في الجيش، والارستقراطيين، بالإضافة إلى الزعماء الدينيين، ومحرقى الصحف.. ومعهم سوف تختفى بعض المفاهيم التي يقدسها الغرب، مثل: حرية التعبير، والانتخابات الحرة، وحرية الديانات والمؤسسات الحرة. ولم يكن في مقدور المسؤولين في الحكومة الأمريكية أن يوافقوا - بأي شكل - على قمع نفس الحريات التي حاربوا هتلر من أجلها. ولم يكن في مقدور الرئيس «هارى ترومان» أبداً (بعد وفاة روزفلت في أبريل ١٩٤٥)، ومستشاريه، والشعب الأمريكي أن يقبلوا فرض الشيوعية على أوروبا الشرقية، دون إبداء أى اعتراض.

إن تجربة الحرب العالمية الثانية أوضحت ان الولايات المتحدة ما زالت لديها بدائل، وأن العداء ليس السلوك الوحيد الممكن تبنيه لمجابهة تحركات «ستالين» المتوقعة. لقد أقامت الولايات المتحدة الدليل على قدرتها على التصرف بطريقة واقعية، تناسبت مع تطور المواقف؛ فلقد ساعدت «تيتو»، وأيدت المقاومة الفرنسية، ورفضت أن تلجأ للعنف مع الروس، واتخذت قرارات جوهرية لإنجاز هدف واحد فقط وهو إسقاط ألمانيا النازية.

لقد فاقت القوة الأمريكية في ربيع ١٩٤٥، قوتها في ١٩٤١ بصورة مذهلة، سواء بالمقارنة بدول العالم الأخرى أو بصفة مطلقة. وكان هذا هو نفس الموقف في ١٩١٨، وإن كان بدرجة أقل، ولكن بعد الحرب العالمية الأولى.. كانت الولايات المتحدة مجردة من السلاح، ورفضت في أغلب الأحيان التدخل في

شئون أى منطقة خارج قارة أمريكا الشمالية، وكان بإمكانها أن تفعل ذلك مرة أخرى. وفي الواقع، فإن «روزفلت» اعترف سرّاً لتشرشل أنه كان يشك في إمكانية استبقاء القوات الأمريكية في أوروبا لأكثر من سنة واحدة بعد انتهاء الحرب.

كانت أمريكا هي المنتصرة، وبالتالي كان ولا بد أن تمتد آثار قراراتها بحيث تشكل عالم ما بعد الحرب، إلا أنه في مايو ١٩٤٥، لم تكن لدى الولايات المتحدة فكرة محددة عن ماهية تلك القرارات، وإنما كانت أمامها عدة طرق يمكنها الاختيار من بينها.

